

دلالة البنية التكرارية في أعمال طاهر وطار الروائية

د/ صفية بن زينة

safou_nour@hotmail.com

مخبر نظرية اللغة الوظيفية - جامعة شلف -

ملخص : يؤدي التكرار دورا كبيرا في عكس تجربة الروائي الطاهر وطار النفسية والانفعالية التي يشكّلها، وبالتالي لا يجوز أن ينظر إليه على أنه تكرار ألفاظ بصورة عشوائية لا علاقة لها بالمعنى ، فالبنية التكرارية وثيقة الصلة بالمعنى العام، وما تتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي، كما أنها أداة إيقاعية متميزة، تكثف الصورة في بؤرة دلالية واحدة يتوالد خلالها العديد من الصور في لقطات مضاعفة ملحّة على إيجاء المقصود بشكل واسع.

Abstract

Repetition plays a big role in reversing the experience of the pure novelist and the psychological and emotional frame that it constitutes, and therefore it is not permissible to be seen as a repetition of words in a random manner that has nothing to do with the meaning. A distinct rhythmic tool, which condenses the image in a single semantic focus during which many images are generated in double pressing shots to suggest the intended wide.

مقدمة:

يعد طاهر وطار رمزا من رموز الأدب العربي في القرن الحالي، وذو صدى دائم تولد عن إنتاجه في الأدب الجزائري الذي كان حصيلة جهد كثيف امتد عبر حياة مفعمة بالعطاء الأدبي المتميز، حيث تصنف تجربته ضمن أنضج التجارب الروائية الجزائرية العربية التي ظهرت بعد الاستقلال ، كونها سابقة في المضامين المدروسة، و تحوي العديد من المنجزات الفنية التي تمكنها من الصدارة، فهي رائدة الإبداع الروائي في تلك المرحلة وما تلاها، لأنها تتضمن من رؤية عميقة، كما تتسم بقدرة فنية متميزة على إبداع فن روائي متطور يزواج بين المحتوى والشكل، ويمزج بينهما في إطار لغوي خاص.

تقوم هذه الدراسة على كشف البنية اللغوية في أعمال الطاهر وطار الروائية وتحليلاتها من خلال البحث عن دور ظاهرة التكرار في إثراء الرواية وخدمة رؤيا الروائي، فهو لا يعني بالضرورة ضيق العالم الروائي، بل صناعة تتطلب درية وتحتاج إلى إتقان بالإضافة إلى الملكة اللغوية والاستعداد النفسي، وهو نسيج تتلاحم فيه خيوط

الذات مع خيوط التجربة والطبيعة لتنتج تصويرا فنيا مبدعا يجمع بين اللغة وجسدها لتعود حية نابضة كما كانت عندما تمحض عنها روح الروائي ويثير دهشة المتلقي.

ظاهرة التكرار : مفهومها وأهميتها في مستويات الدراسة اللغوية:

تعد اللغة معلما مهما في حادثة الرواية العربية¹ فقد مثلت الحادثة الروائية بشاعريتها الشفافة معلما أساسيا في الرواية، بما يتناسب مع موضوعها، فتصبح لغتها لغة جديدة بقدر جده المهم الأساسي في الرواية¹. وقد أصبحت دراسة اللغة الروائية منهجا متداولاً في كثير من الأبحاث التي تدرس بنية الرواية .

لقد شكلت البنية التكرارية موضوعاً من موضوعات حقول اللغة، وتصدرت في المنظومة الفكرية الحديثة أعلى الأمكنة في مستويات الدراسة اللغوية، فلغة التكرار ليست جديدة على الأدب بشقيه الشعري والنثري، ويعد من الوسائل الأساسية التي يبني عليها الإيقاع، خصوصا إذا حالفه التوفيق في تأدية الدلالة المقصودة، والتكرار خاصية من خصائص الأدب قديما وحديثا، وميزة لا تكاد تفارق عنصرا من عناصره، إذ يقوم على تكرار وحدات صوتية-فونولوجية ومورفولوجية- وفق نظام معين.

أ- مفهومه: يعرف التكرار بـ " أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحدا وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"². ويتجاوز التكرار هذه الفائدة في قدرته على التأثير عندما يتدخل في المجال الفني، فهو يعمل على إنتاج فوائد جديدة - داخل كيان العمل الفني - ليتحد مفهومه في الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، ويقوم على إعادة وحدات صوتية وفق نظام معين." إن التكرار في حقيقته، إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها أكثر من عنايته بسواها، وهكذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه³. يمكن أن نستنتج من أسلوب التكرار وأثره الإيقاعي والنفسي أنه قام بدوره في تمكين قنوات التواصل بين النص والمتلقي، هذا التواصل هو غاية الفنون جميعا، لأنه يعيد خلق العمل الفني ويخلده.

¹ محمد بدوي: مغامرة الشكل عند روائي الستينات، مجلة فصول، القاهرة، ع2، م 2، 1982، ص 133.

² أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، ج1، ص 370.

³ نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، مكتبة دار النهضة، بغداد، 1965، ص 242.

2-أهميته: يعد التكرار بمختلف أنماطه أساس الإيقاع، فنجده في الموسيقى، كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر، بيد أن طبيعة التجربة الفنية - سواء أكانت شعرية أو نثرية- هي التي تفرض وجودا معينا ومحددا للتكرار، وهي التي تسهم في توجيه تأثيره وأدائه بالقدر الذي يجعل من النص كيانا فنيا لنظام تكراري معين.

وتهتم دراسة التكرار بدراسة الإيقاع الروائي، باعتباره - الإيقاع - تكرر بالدرجة الأولى، ويكون تكرارا مقصودا وموظفا لأهداف فنية ونفسية وفكرية في العمل الفني، وإذا وظف التكرار بشكل دقيق فإنه يشكل إيقاعا منتظما يحمل إيجاء جديدا ومختلفا حسب الأثر الذي يتركه هذا التكرار⁴.

إضافة إلى كون التكرار خاصية أساسية في بنية النص، فإن يؤدي دورا دلاليا على مستوى الصيغ والتراكيب، فهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها النص على أعماق الكاتب فينيرها، وما يميز النظام التكراري، أن المتن فيه تعاد روايته، وهذا يؤدي إلى ضمور حركة الزمان في الحركات اللاحقة حيث تعاد الخلفية الزمانية والمكانية ذاتها، كما أن الوقائع والأحداث والشخصيات تتكرر، فكل مكونات المتن، باستثناء رؤية السارد التي تبقى ثابتة، لكن الرؤية مختلفة عن غيرها في كل مرة بما لا يخلخل تعاقب المتن زمنيا⁵.

الدراسة التطبيقية:

تميزت لغة روايات الطاهر وطار بأسلوب مفارق، وساخر، اتبعه في رواياته، وكان له أثر واضح في كل الأساليب الأخرى الموظفة. وقد لجأ الروائي الطاهر وطار في جل رواياته إلى توظيف أسلوب التكرار بشكل واضح، وقد يتبدى التكرار في الحروف والألفاظ والتراكيب، بشكل مدروس مما كان له أثر واضح في الدلالة، حيث عمل على تفجير إحساسه الثقيل بالحزن والكآبة والحيف، الذي سيطر على تجربته الروائية في كثير من مراحلها⁶. إذ يتحقق أسلوب التكرار وحجمه في روايات وطار على مستويات عدة، فثمة تكرار على المستوى الفونيمي، ويضفي هذا التكرار بعدا نغميا مكونا تتضمنه العناصر اللسانية، الأمر الذي يفضي إلى اكتساء هذه العناصر إيقاعا خاصا هو مكون ذاتي في اللغة ينبثق من طبيعة الفونيمات نفسها.

ويمكن أن يتمثل التكرار الفونيمي ما يسمى بـ " الرمزية الصوتية" أو المحاكاة الصوتية" التي تتأسس على علاقة بين البنية الصوتية للكلمة أو مجموعة من الفونيمات بصوت معين تحاكيه البنية محاكاة مباشرة أو محاكاة غير مباشرة،

⁴ ينظر: أحمد الزعي، في الإيقاع الروائي، نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية، دار المناهل، لبنان، 1995، ص 8.

⁵ ينظر: عبد الله إبراهيم: المتخيل السرد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، 112.

⁶ عبد الله الخطيب: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 113.

وفي الحالة الأخيرة تثير المحاكاة الصوتية تجربة غير صوتية، ومعنى هذا هو رصد العلاقة المتضمنة بين الشكل والدلالة، ويمكن ان يتحقق هذا الرصد على مستوى الفونيمات المتناثرة، أي تكرار الفونيم أو أكثر⁷.

يدرس التكرار من عدة زوايا ... الأولى زاوية موسيقية ترى أن التكرار - سواء كان تكرار كلمات أم جمل بأكملها- يحدث أثرا موسيقيا، ويخلق مجموعة من المحاور أو المرتكزات التي تغير من شكل التجربة، وتدور بها بضع دورات كاملة ، أو منقوصة ، على صعيد الإيقاع الموسيقي، وقد يكون لهذا الأثر الموسيقي ، وقد يكون لهذا الأثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها ، كما يمكن أن يؤدي إلى العكس⁸.

-أما الزاوية الثانية: فهي لفظية، لأن تكرار كلمات معينة له دور في إضاءة التجربة وتعميقها ، إذ يشير الإلحاح على بعض الكلمات داخل تراكيب ثابتة ، أو متغيرة إلى أشياء لا تستطيع التجربة الروائية الإيماء دون هذا التكرار، وعلى المنهج الجديد أن يحاول التعرف على مدى توفيق الروائي في تكرارته أو إخفاقه فيها من هذه الزاوية.

أما الزاوية الثالثة: فهي قاموسية، فالتكرارات تشارك في صياغة هذا المنهج إلى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في الرواية ، هذا البناء الذي لاحظنا ميله إلى التراكيب والتعقيد، وجنوحه إلى التركيز والتثقيف . هذا الجنوح هو الذي جعله يميل إلى استخدام الكلمات بالطريقة التي سنتناولها⁹.

وقد تكون ظاهرة التكرار قد بلغت أقصى تأثير في الرواية العربية مع حضور لها، حيث أسهمت بشكل كبير في تثبيت إيقاعها الداخلي وتسويغ الانتكاء عليه مرتكزا صوتيا يشعر الأذن بالانسجام والتوافق والقبول¹⁰. كما أن الانسجام قد تجاوز البعد الإيقاعي في التأثير ، متدخلا في تشكيل البنية الدلالية للرواية من خلال النظم المختلفة والمتابينة التي يمكن أن يأتي عليها التكرار، فهو " يجيء على مستويات عديدة لا يمكن حصرها حصرا كاملا"¹¹. وذلك نتيجة لارتباطاته بقدرات الروائيين المستمرة على الابتكار والتجديد والتجريب بما يناسب طبيعة التجربة ووحدها.

⁷ حسن ناظم: البنى الأسلوبية - دراسة في أنشودة المطر للسياب-، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب ، ط 1. 2002. ص 98.

⁸ إيمان الكيلاني: بدر شاكر السياب - دراسة أسلوبية لشعره- ، دار وائل للنشر، ط1، 2008، ص 284.

⁹ إيمان الكيلاني: بدر شاكر السياب - دراسة أسلوبية لشعره-، ص 284.

¹⁰ ينظر: عبد الرضا علي: الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب، بحث مقدم إلى مهرجان المرشد العاشر، 1989 دار الحرية للطباعة، بغداد، ص 5.

¹¹ المرجع نفسه. ص 5.

يعد التكرار ظاهرة أسلوبية ذات نطاق واسع، لها تفرعات في الخطاب الروائي عامة، وفي نصوص الطاهر وطار خاصة فهو يشمل:

أولاً- تكرار الكلمة: وهي من أبسط وأكثر أنواع التكرار ، يجب أن يؤدي اللفظ المكرر الهدف المرجو ليرر وجوده في الجملة وليكون فعالا في خلق الانطباع الذي يسعى المبدع إلى نقله للمتلقي، وكان هذا النوع واضحا بيننا بشكل كبير في جل روايات الطاهر وطار و " تبرز هذه الظاهرة في الصوت المتداخل وفي المنولوج الداخلي. ولا يعني ذلك خلو (الروايات) من المؤشرات الأخرى التي تستغل لتصور ما قبل الكلام كإنقطاع الإحالة، أو الجرس اللفظي أو اللغة التصويرية التأثيرية"¹².

يظهر التكرار جليا على مستوى الألفاظ ، فهناك تكرار للكلمة في رواية " رمانة " لتدل على انفعال القاضي الذي تفاجأ بوجود شخصية مرموقة تدخل البيت فرحب به قائلا: (شرف عظيم ، شرف عظيم¹³). كما نجد التكرار في المثال: (أقصد ، أقصد)¹⁴، حين عبر طاهر وطار عن الحالة النفسية المتمثلة في الارتباك الذي أصابت الرجل الذي التقى برمانة.

ونجد هذا النوع من التكرار في رواية " اللاز" ليعبر عن حالة التحسر والأسى التي يعيشها الشيخ الربيعي من خلال قوله: (أيه إيه الله يرحمك يا السبع)¹⁵. وقد ردد هذه العبارة مرة أخرى (إيه إيه ... الله يرحمك يا السبع ... كنت وحدك عشرة رجال)¹⁶. وقد وردت جملة كبيرة من الألفاظ المكررة في حوارات أبطال الرواية يفيد التكرار فيها تأكيد الدلالة أو الحالة الشعورية المسيطرة على الشخصية فمثلا: (حق ري وحق ري يا عمي الشامبيط ... سامحني، سامحني، إذا رعت اقتلني، حق ري وحق ري)¹⁷.

تعددت مواضع التكرار في رواية " اللاز " بشكل كبير ، نذكر من أمثلة ذلك: (أنت يا اللاز... أنت يا اللاز ... أمك مريم بنت عمي، و أنت يا اللاز ...) ومثال آخر؛ (عمي زيدان، أنت أي؟ أنت... أنت ... عندي أب إذن)¹⁸. تمثل الغرض من التكرار في وصف المشاعر الحزينة، الأليمة.

¹² محمود غنایم: تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة (دراسة أسلوبية)، دار الجيل، بيروت، ط2، 1993، ص 317.

¹³ الطاهر وطار : رواية رمانة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 18.

¹⁴ المرجع نفسه، ص 33.

¹⁵ الطاهر وطار: اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 1983، ص 9.

¹⁶ المرجع نفسه، ص 10.

¹⁷ المرجع نفسه، ص 14.

¹⁸ المرجع نفسه، ص 65.

وجاء تكرار الألفاظ في رواية " العشق والموت في زمن الحراشي " على شاكلة رواية " اللاز " غير أنه بنسبة قليلة ، ومن أمثلته ما جاء على لسان السارد في وصفه الجميلة بقوله: (مناضلة، إنك مناضلة، مناضلة، رفيقة جميلة)¹⁹، وهذا ما يعرف عند النقاد العرب قديما ب: "التلذذ بذكر المكرر"²⁰؛ لأنه يحمل بين طياته طاقات شعورية ودلالات رمزية متعددة، ومن أمثلة ذلك أيضا نجد (زيدان ... زيدان ... زيدان...)²¹.

توفرت رواية " زلزال " على كم هائل من أنواع التكرار خصوصا تكرار الجملة، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان الشيخ بو الأرواح ردا على خديعة الحكومة للشعب في بث الروح في الاشتراكية (لا، لا ، الحرية حرية، الاستقلال استقلال، الحكم حكم، السلطة سلطة)²². يظهر جليا أن الغرض من تكرار العبارة جاء تأكيدا للكلمة الأولى وتوثيقا لها، إذ يأتي التكرار لتصوير الإيقاع السريع للحياة الخارجية عبر نفسية أبو الأرواح المضطربة) الدنيا تغلي، تموج ، تغلي، تموج، أربعة شوارع كبرى وتبتلع وتدفع العربات هاربة)²³.

اعتمد الروائي الطاهر وطار تقنيي التكرار والتقطيع في رواية " تجربة في العشق " بشكل جلي يبين للقارئ الحالة النفسية التي تنتاب السارد، وهذا النوع من التكرار يعد جزءا من الوضع السيكلوجي لأزمة الشخصية " وهي طريقة من طرق التريديد الداخلي المصحوب بقلق ذاتي، يعبر عنه بالكلام ذي الوحدة الوظيفية المتشابهة"²⁴. ومن أمثلة ذلك (عملية تعد حاسمة في حياتي، دوري ، دوري)²⁵. وأيضا (مسألتي أنني عاشق حتى الجنون، نون نون جنون ، عاشق، عاشق، ... مجنون، مجنون)²⁶. وتبقى رواية " تجربة في العشق " تسيير وفق هذا النحو بتكرار العديد من الألفاظ لدرجة شد انتباه المتلقي إلى أن السارد يعيش حالة نفسية مضطربة، غير متزنة ، ومتوترة.

ونلاحظ أن ظاهرة تكرار الألفاظ تقل في روايات الطاهر وطار الأخيرة، حيث لا نجد على النموذج الذي عهدناه في الروايات الأولى - مع وفرة تكرار الجمل والفقرات فيها- ، حيث نادرا ما تصادفك كلمة مكررة في صفحات الرواية، كما هو الحال في رواية " الشمعة والدهاليز " من أمثلة ذلك (تلتفت ، تبتسم، تلتفتن تبتسم،

¹⁹ الطاهر وطار: رواية العشق والموت في زمن الحراشي، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ص 34.

²⁰ عبد الله الخطيب: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، ص 116.

²¹ الطاهر وطار: رواية العشق والموت، ص 42.

²² الطاهر وطار : رواية الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، ص 13.

²³ الطاهر وطار : رواية الزلزال، ص 52.

²⁴ سلمان كاصد: الموضوع والسرد - مقارنة بنوية في السرد القصصي-، دراسة لمهدي صقر، دار الكندي، إربد، 2002، ص 261.

²⁵ الطاهر وطار، رواية تجربة في العشق، مؤسسة عيبال للدراسة والنشر، 1989، ص 12.

²⁶ الطاهر وطار، رواية تجربة في العشق، ص 25.

كأنما هي تنتظرك، تدفع ، تدفع أكثر، لا جدوى ، المسافة هي هي²⁷. ونجد المثال (خواء، خواء. يأس، يأس. قنوط قنوط)²⁸. فالمثال يبين حالة اليأس و ويكشف التمزق الذي يعاينه بفعل الكذب، والنفاق الاجتماعي، وتزوير الحقائق، وغيرها ...

يلخص السارد حالة الدهشة والذهول التي يعيشها الولي الطاهر في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" حينما عاد إلى مقامه ولم يجد باب بيته نتيجة فقدانه للذاكرة ، مثلا (وميض، وميض، مناظر تتشكل وتختفي)²⁹. فتوظيف التكرار للدلالة على سخرية الروائي من سلوكيات المجتمع الجزائري.

نجد الروائي الطاهر وطار في ورايته " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" يستعين بظاهرة التكرار قصد الكشف عن الرغبة في امتلاك وعي نقدي بإمكانه تعرية أوهام الواقع الفلسطيني وإغراءاته، من خلال المثال (وبالمناسبة، فقد أعلنت جميع بلديات الضفة والقطاع، أن المواليد المسجلين اليوم، أصر أولياؤهم على إطلاق تسميات غريبة عليهم، فالإناث كلهن سجلن بأسماء مركبة من اسم أول واسم ثان، هو السلطة التنفيذية، ألقت، تصير ألقت السلطة التنفيذية، ونزهة تضحى نزهة السلطة التنفيذية، وقس على ذلك باقي الأسماء... بالنسبة للذكور... يشكل اسما هو رئيسا، فنقول : مازن رئيسا رئيسا رئيسا، ومروان رئيسا رئيسا رئيسا، ومحمد رئيسا رئيسا رئيسا...)³⁰. فللتكرار دلالة سيميائية، تدل على مدى سخرية الروائي من بعض مواقف رجال السلطة الفلسطينية الذين طغى ظلمهم حتى على أسماء المواليد.

ثانيا: تكرار العبارة: قام الروائي الطاهر وطار بتوظيف عبارة هي بمثابة لازمة تكررت في جل رواياته بشكل متتال أو غير متتال، وهذا النمط من التكرار يدل على مدى أهمية هذه العبارة ذات الانسجام الكبير مع محتوى النص الروائي ، لأن " اللازمة وسيلة توحد الأشياء"³¹. فقد استخدم الروائي الطاهر وطار في روايته " اللاز " اللازمة (ما يبقى في الواد غير حجاره) للتعبير عن صمود الثوار و تمسكهم باستمرارية الثورة سعيا وراء الانتصار.

أما رواية "الزلزال" فقد تمثلت لازمتها في العبارة التي لا تفارق لسان الشيخ بو الأرواح التي كان يرددها عندما تبدل أحوال قسنطينة، وهذه اللازمة مقتبسة من الكلام الله (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع

²⁷ الطاهر وطار، رواية الشمعة والدهاليز، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2003، ص 153.

²⁸ الطاهر وطار، رواية الشمعة والدهاليز، ص 158.

²⁹ الطاهر وطار: رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2003، ص 19.

³⁰ الطاهر وطار: رواية الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، الرواية متاحة على شبكة الانترنت في الموقع التالي:

www.wattar.cv.dz/lire/riouayat/walyQU.htm ص 77.

³¹ روبرت همفري: تبار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، 1975، ص 168.

كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى). فمن خلالها يوضح الروائي الحالة النفسية المضطربة للشيخ الذي يتمنى زوال النعمة ونزول العذاب عليهم.

و في رواية "عرس بغل" تتكرر اللازمة التي تكررها علجية أثناء غناءها (أنا قليلة الوالي)³²، فهي تعكس مدى معاناتها وألمها جزاءً لفقدانها للأهل والسند، فهي تعاني مختلف أشكال الحرمان.

كما جاءت اللازمة في رواية " الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" في شكل دعاء كان يردده الوالي الطاهر يوميا كلما حلت مصيبة، فيقول: " يا خافي الأطياف نجنا مما نخاف"، غير أننا نلاحظ انقلاب الروائي على نفسه في رواية " الوالي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" فكانت اللازمة بمثابة دعاء بإنزال العقوبة من خلال قوله: (يا خافي الأطياف سلط علينا ما نخاف".

ويمثل هذا النوع من التكرار ولعا أسلوبيا في التنفيذ الوصفي كما يرى صلاح فضل أن هذه القوافي تقوم " بوظيفة مماثلة إلى حد ما في النوع ومخالفة في الدرجة للقوافي الشعرية... من ربط الصيغ وتكرار النماذج الصرفية والنحوية وضبط الإيقاع الداخلي للعبارة، وهو لا يقل أهمية عن الإيقاع الموسيقي البارز الذي تقوم به القوافي الشعرية"³³. فظاهرة التكرار تأتي ل: " إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها، إما للتوكيد أو لزيادة التنبه أو للتسهيل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر"³⁴.

وعليه فما تم توظيفه من تكرار للعبارات في روايات الطاهر وطار، فقد جاء ليؤدي وظائف عديدة تنوعت بين تأكيد المعنى وتشخيص الحالات النفسية المضطربة للشخصيات أو السارد وغيرها.

ثالثا: تكرار الفقرة كاملة:

وظف الروائي طاهر وطار نمط تكرار الفقرة كاملة في روايتي " الشمعة والدهاليز" و" الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، واتخذ منها لازمة تتكرر في عدة مواقف، حيث نلاحظ في " الشمعة و الدهاليز" أن الفقرة تكررت أكثر من خمس مرات، أخرها على غلاف الرواية الأخير " ... تقف عند رأسه، فتاة طلبت إذنا خاصا بذلك، في الثانية والعشرين، وجهها غلامي، عينها المنتصبتان، في طرفي الوجه، تبدوان، كأنهما لمومياء فرعونية، لنفرتيتي، أو لكليوباترة، أو كأنهما لغزاة، لهما مضاء حاد، ولهما تودد سخي، أنفها رقيق بفتطسه،

³² الطاهر وطار: رواية عرس بغل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

³³ صلاح فضل: شفرات النص، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1933، ص 178.

³⁴ امتنان صمادي: شعر سعدي يوسف - دراسة تحليلية -، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2001، ص 202.

تتناسب تمام التناسب مع الشيء فوق فم صغير رقيق الشفتين، ذقنها الدقيق، تزينه فلجة، رقيقة، يضرب لونها إلى بياض و سمرة وزرقة، ما يجعلها تبدو في الوقت الواحد آسيوية إفريقية"³⁵.

كما تكررت الفقرة مرتين في الصفحة نفسها من رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، "تراءت له تملأ الأفق، بيضاء مستديرة الوجه، عيناها كبيرتان كالحتا السواد، فمها صغير مستدير مكتنز الشفتين، أنفها الأفطس يضفي على ملامحها مسحة هرة أو لبوءة"³⁶.

عمد الروائي طاهر وطار الأسلوب التكراري ليؤيد إيقاعا داخليا يوحد الدلالة، ويشد انتباه القارئ إلى الانزياحات التي تخلق الجمالية، من اللغة الشعرية، وعليه فخاصية التكرار لم تكن سلبية، بل جاءت لتخدم النص من خلال تطعيمه بدلالات متعددة.

رابعا: تكرار التفاصيل السردية

تتمظهر خاصية التكرار في أعمال الطاهر وطار الروائية، وفق أنماط متنوعة، تتضمن بعض الجزئيات والصيغ التفصيلية، التي تعكسها منها:

– **تكرار بعض الأفكار:** ويلجأ الطاهر وطار إلى لمثل هذه التقنية؛ حرصا منه على تثبيت فكرة ما في ذهن المرسل إليه، أو ليلفت نظره إلى موقف أو مواقف أرادها السارد، ولا يعتمد هذا النوع من التكرار على إعادة الفكرة بلفظها ومعناها، إذ لا بدّ من إيجاد سبيل لإعادتها وفق اللاتشابه بينها، مع المحافظة على المعنى المراد تكراره، فذلك يؤدي إلى صياغة تكرار، يسهم بأثر فعال في بناء الحدث، الذي يتنامى ليصل إلى ذروته في خاتمة العمل.

ففي "الزئزال"، ورد على لسان أبي ذرّ الغفاري، "حينما طاف في إغفاء الشيخ بو الأرواح، - عم بو الأرواح بطل القصة- طريق الله أن تخدم عباد الله، طريق الله أن تقاوم أعداء الله، طريق الله أن تكافح الاضطهاد والاستغلال"³⁷.

نلاحظ في هذا المسرد بأن أبا ذر، يضيف في كل مرة معاني أخرى، مع المحافظة على المعنى العام للفكرة التي طرحها (طريق الله)، فهو يهدف إلى إثراء ذهن المتلقي - والذي قد يكون على دراية بالمعنى العام لفكرة المسرد - بجملة من الأفكار تحمله تلك الرسالة، التي تختفي وراء ألفاظ فكرته الرئيسية، فهو ينبّه المتلقي إلى أنّ طريق الله

³⁵ الطاهر وطار، رواية الشمعة والدهاليز، ص 187.

³⁶ الطاهر وطار: رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص 108.

³⁷ الطاهر وطار، رواية الزئزال، ص 122.

ليست ماثلة في: التصوف، والرهبانية في الزوايا، بل هي السعي الحثيث في خدمة عباده، ومقاومة أعدائه والتصدي لهم، بما أوتي الإنسان من قوة الجسد والسلاح.

وفي رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، نلاحظ تطاولا كبيرا لإجرام العقلية المتطرفة التي لا تميز بين رجل من رجال الأئمة، وحسنت القرار باغتيال نجيب محفوظ، فيرسم صورة فنية ضدية تحكي فيها اللغة رغبة نجيب محفوظ في الموت، من خلال تكراره لهذه اللعبة المخيفة " تقرر أن يموت، تقرر أن يموت ذبحا، تقرر أن يموت في رابعة النهار"³⁸.

في هذا المسرد لدينا تكرر فكرة الموت وفق أنماط سردية، مختلفة الألفاظ والتراكيب وهي:

1- تقرر أن يموت.

2- تقرر أن يموت ذبحا.

3- تقرر أن يموت في رابعة النهار.

نستشف من هذا المسرد دلالات متنوعة، مع أنّ الدلالة واحدة وهي " الموت"، فتكرار الفكرة في السرد " 2" أعطى إضافة أخرى، وهي طريقة الموت، لم ينبئ عنها السرد " 1"، الذي أشار فيها السارد إلى الموت، كما أنّ السرد " 3"، أضفى دلالات على المسرد، غير تلك التي قدّمها السردين " 1" و " 2". وهي زمن الموت، فالدلالة واحدة لكنّ مع تكرار الفكرة نتجت دلالات أخرى لها ارتباط وثيق بالأولى.

يمتلك السرد المتكرر على هذا النوع بعدا سيكولوجيا، ينبئ عن نفسية الراوي السارد، حيث إنّ الموت قرار قد اتّخذ ولا رجعة فيه، ولكن بقي هامش طريقة الموت وزمنه³⁹.

تكرار بعض المشاهد:

ويتجلى هذا النوع من التكرار على سبيل المثال، كمحاولة إحدى شخصيات الرواية إعدام الأخرى، نتيجة تضارب مصالحهما، أو انتمائهما العقدي الحزبي. ومن ذلك: ذبح الشيخ زويدان في رواية " اللاز"، ومحاولة ذبح مصطفى جميلة في رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي"، وذبح الملتئمين السبعة للشاعر في رواية " الشمعة والدّهاليز".

ومن أوجه هذا التكرار أيضا: اختتام الرواية بموت بطلها، أو انتحاره، أو موت أحد أبطالها الرئيسيين: ففي رواية " اللاز" يموت البطل " زيدان" ذبحا، وفي رواية " الزلزال"، يصاب الشيخ بالأرواح بالجنون ويحاول الانتحار،

³⁸ الطاهر وطار، رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص52.

³⁹ ينظر: عبد الله الخطيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطّار، ص134.

وفي رواية " الشمعة والدّهاليز "، يموت الشاعر ذبحاً، وفي رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، تموت بلارة، وفي رواية الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، يقتل صدام حسين.

تكرار التيمة الروائية: ينشغل الطاهر وطّار، بداية برواية " رمانة "، وانتهاء برواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"، بمعالجة تيمة واحدة، ويعكف على إعادة إنتاجها من عمل روائي لآخر، ولكن بشكل متفاوت، هذه التيمة هي: فشل التغيير واستحالة تحقيق المدينة الفاضلة على أرض الجزائر⁴⁰. وتظهر التيمة المكرورة من خلال مظهرين: الأول: مهتم بالمشاكل السياسية، والثورة التحرير، مما يدعو إلى هجاء الواقع والسخط عليه.

والثاني: وهو مظهر اجتماعي يهتم بفضح الطبقة البرجوازية، وتسلب رموزها على ممتلكات الشعب، كما هو ممثل في روايتي " رمانة" و"عرس بغل"، حيث يقوم الروائي الطاهر وطار بفضح البرجوازية، وكشف الواقع المتأزم الذي يأمل بزوال سيطرته لا محالة.

وهناك أنواع أخرى من التكرار وردت في روايات الطاهر وطّار، واستخدمها كتقنية لإيراد موضوعاته السردية، منها: **تكرار النقط، وعلامات الترقيم**، " فوجود الفواصل وتكرار النقط، وعلامة التعجب، تساعد الروائي على توصيل ما يروم إيصاله إلى القارئ بدقة، ليعوّض ما تفتقده الرواية من التلوين الصوتي وملامح القسمات التي تصاحب الرواية، عند قراءتها، وهذه الظاهرة نجدها في الرواية المكتوبة، ولو أنّ بعض الروائيين يسرف في استخدام هذه العلامات، وأحياناً تساعد النقط والفراغات على الإيجاء أنّ في السياق معاني أخرى يمكن للقارئ أن يضيفها أو يتخيّلها، ويستخدم الروائي الفواصل والتنقيط، ليوازن بين الجمل إيقاعياً، وليوفر جانبا من الاستراحات، والسكوت وما ينجم عنه من مزايا موحية، ولا تفوت الإشارة، إلى أنّ إساءة الاستخدام تؤدي إلى اضطراب المعنى"⁴¹. فيمكن أن نشبه علامات الترقيم، بإشارات المرور التي تنظم المسير، فبفضل هذه العلامات تنتظم المعاني في ذهن المتلقي، وعلى أساسها يرتب أفكار العمل الروائي الذي يقرأه، فعلى الروائي أن يترتّب حين استخدامها، وأن يلتزم بتوظيفها في حدود المعقول والمنطق معاً، متى احتاج إليها، فهي بمثابة كلم تدخل في بنية التركيب اللغوي في مختلف السياقات الواردة في العمل الروائي.

40 ينظر: عبد الله الخطيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطّار، ص146.

41 الكبيسي عمران، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، العراق، ص160/162.

لذا نجد بأنّ التكرار قد وظّف في الأعمال الروائية الحديثة، كتقنية لإعادة إنتاج الأفكار المطروحة سابقا في الرواية، سواء كان ذلك " بإعادة الفكرة باللفظ متنوعة، أو بالألفاظ نفسها أحيانا "42، حيث يهدف الروائي من وراء استخدامه إلى الوصول إلى أمثل حالة لعمله الروائي، كون النص الروائي الحديث كتلة متلاحمة الأجزاء، ذات بناء نسيجي واحد، تتشابك خيوطه لتحقيق الانسجام المطلوب.

وما دام التكرار بهذه الفعالية، التي تعطي للعمل الروائي وجها آخر، يجب الروائي أن يراه في عمله، فلا ينبغي أن يحرص في مجال ضيق على أنه تقنية بسيطة ذات فائدة بلاغية، أو لغوية محدودة، بل يجب النظر إليه ضمن نطاق واسع، على أنه تجربة معقدة، تتأني للروائي بعد طول تأمل وإمعان فكر، بحيث يرصد حركتها، ويستطيع تحليلها، انطلاقا من مدى فاعليتها وتأثيرها في عمله، فضلا عن دورها التقليدي، قديما والذي انحصر في التوكيد⁴³.

إنّ الروائي الناجح، هو الذي يستثمر في التكرار، ويوظّفه في نصه على أفضل وجه ممكن، ويتوقف ذلك على مدى تحكمه في استخدامه له، وفي أية المواضيع ينبغي إدراجه في النص، ليحقق بناء محكم التشكيل، فهو صاحب السلطة على أن يحجى الكلمة، أو يميتها، متى أراد، وفي أي زمن شاء، لأنّ التكرار يشكل نقطة توقف تهدد طغيان الإيقاع في النص، إذ قد يفهم من التكرار للوهلة الأولى، على أنه تعطيل للوعي، بسبب ما يضيفه على الكلمة من شحنة دلالية، وما يسترعيه من انتباه، ثمّ ما يلبث أن يكون ذلك، ليعود الإيقاع بهيمته، فارضا نوعا من الجمود في الحركة، داخل الفضاء الموسيقي للنص⁴⁴.

وفي هذه الحال لا يعدّ التكرار نوعا من أنواع العجز الروائي، بل يعتبر فضيلة⁴⁵، وذلك إذا ما استخدم استخداما مثاليا، يفني بحاجة العمل الروائي، أما إذا استخدم بإفراط دون الحاجة الملحة له، فيتحوّل من فضيلة إلى منقصة في العمل الروائي، فلا الروائي أبدع، ولا المتلقي تتمّع.

لما كان التكرار بهذه القيمة الفنية في النصوص الروائية، وجب الإسراع إلى إيجاد جملة من الضوابط والمعايير التي تحكم تحركاته داخلها، حتى لا ينقلب إلى أداة لهدم لغة النص، فيفقد مزية إثراء النصوص، ولعلّ أول معيار يجب ضبطه هو التوازن، لأنّ التراكيب لها مزية النظم داخل إطار اللغة وقوانينها، فهي تخضع لنوع من الهندسة

42 حاتم الصكر، مالا تؤديه الصفة، 21.

43 محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985، الطبعة الثانية، ص 61.

44 غيورغي غاتسيف، الوعي والفرن، ترجمة نوفل نيوف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص 78. بتصرف.

45 ينظر: عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغراب، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار الطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص 10.

اللفظية الدقيقة، التي لا بدّ على الروائي أن يعيها وهو يقحم التكرار على بعض مناطقها⁴⁶. ممّا يضيف انسجاما تاما، على عناصر التشكيل في النص، ويعكس التجربة، ويثبت خصوصيتها و ثراءها.

إنّ شيوع ظاهرة التكرار في أعمال الطاهر وطار الروائية، ليس الغاية منها الولوع بهذا النوع من الأساليب، أو مجرد تقليد لما هي عليها الأعمال الروائية عند غيره، وتتجاوز النماذج المبتدلة للتكرار في بعض النصوص الروائية، نجد أنّ التكرار ذا قدر فعالة عالية في توليد المعاني وجسر تبليغ لها للمتلقي، وإنّ الدافع الأساس لاستخدام هذه التقنية (التكرار)، من قبل الروائيين، هو الدافع الفني، لأنّ التكرار يتأرجح ما بين الوظيفية وتعدد الصورة، فقدرتة واضحة في تفجير معان فنية ذات دلالات شعورية، وأبعاد نفسية، إذ باستطاعة الروائي أن يؤدي أغراضا متنوعة في نصه، متى وظّف التكرار على أمثل وجه، وأتقن إدراجه في مواضعه التي تجب له، ولا يتأتى له ذلك إلا بفقته أسرار لغته، ومدى اطلاعه على خصائصها.

يمكن لبنية التكرار أن تتموقع في الإطار الذي يفترض على الروائي أن ينظم تصاميمه، بشكل فعال، ممّا يتيح للتكرار أن يعطي أكبر فرص ممكنة لتحقيق التأثير، من خلال فعاليته التي تتجاوز حدود الإمكانيات النحوية والصرفية واللغوية، لتصبح أداة دلالية⁴⁷، تتم عن المعاني الكامنة في النصوص الروائية، وتلقي بظلالها عليها، ممّا يمكن المتلقي من تذوقها، واكتشاف عنصر الخيال لدى كاتبها.

خاتمة: إنّ توظيف الطاهر وطار للتكرار في أعماله الروائية، أصبح يشكّل نظاما خاصا في كيان الرواية لديه، ممّا أضفى خصوصية على أعماله بفضل هذه التقنية، فامتلاك ناصية الكتابة الروائية، وسنوات التجربة، شكّلا جسرا توفيقيا ما بين الإبداع والعمق والثراء المعرفي لديه، ممّا ولّد لديه خبرة متميّزة في توظيف التكرار، فيما كتب. وتمنح البنية التكرارية في أعمال الطاهر وطار الروائية خيارات عديدة وصورا مختلفة، تقوم على الإمكانيات التي يتيحها النظام اللغوي؛ فهي من الأسس اللغوية التي تقوم على تمثين وحدات النص الروائي، وتسهم في إبراز دلالاته.

46 ينظر: نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص 257.

47 محمود غنّام، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ص 317.